

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 71- سورة غافر | من الآية 16 إلى 56

عبدالرحمن العجلان

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد الحمد لله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا - [00:00:00](#)

ان الله لذو فضل على ولكن اكثر الناس لا يشكرون خالق كل شيء لا اله الا هو لا اله الا هو فان كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء - [00:00:32](#)

ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين هذه الايات الكريمة من سورة غافر جاءت بعد قوله جل وعلا - [00:01:11](#)

وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين لما امر جل وعلا عباده بان يدعوه ويذكروه ويسألوه بين جل وعلا كمال قدرته وكمال عظمتة وكمال وحدانيته - [00:01:48](#)

وانه جل وعلا هو الواحد الاحد الفرد الصمد الواجد الماجد القادر على كل شيء سبحانه وتعالى وقال جل وعلا واصفا نفسه الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا - [00:02:25](#)

جعل لكم الليل لتسكنوا فيه جعل هنا بمعنى خلق وتأتي جعل بمعنى خلق وبغير هذا المعنى والعرب يفرقون بين جعل التي بمعنى خلق وبين جعل التي بغير هذا المعنى فيجعلون جعل التي بمعنى خلق - [00:02:53](#)

تنصب مفعولا واحدا فقط جعل لكم الليل تعالى الليلة منصوب مفعول واحد الليل وجعل التي بغير معنى خلق تنصب مفعولين وذلك كقوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا وجعل هنا جعلناه قرآنا ليس بمعنى خلق لان القرآن كلام الله - [00:03:29](#)

فليس بمخلوق سلام الله جل وعلا منه بدأ واليه يعود وكلامه جل وعلا صفة من صفاته فجعل في هذه الآية التي معنا قوله الذي الله الذي جعل لكم الليل بمعنى خلق - [00:04:09](#)

خلق لكم الليل لتسكنوا في جعل لكم الليل لتسكنوا فيه تفضل على خلقه بالليل فجعله محلا للسكن والراحة وجعله ابرد من النهار واهدى من النهار فالمرء ان ما فيه استراح - [00:04:32](#)

ونومه بالليل يفوق نوم النهار بكثير البدن في حاجة ماسة الى نوم الليل وهو في غنى عن نوم النهار ونوم النهار لا يكفيه عن نوم الليل لتسكنوا فيه من السكون والراحة والهدوء - [00:05:06](#)

ففيه السكون الذي هو النوم وهو الموتة الصغرى في الليل وفيه الحياة العظمى التي هي مناجاة الله جل وعلا والتل بكلامه جل وعلا والتلذذ بمناجاته وسؤاله حينما يسكن الجو ويهدأ - [00:05:35](#)

ويستريح المرء اذا قام لمناجاة الله جل وعلا والتلذذ بذلك اكتسب نشاطا وقوة وصحة في البدن وقوة في الايمان والارادة والانفاق في سبيل الله والعطاء فيما ينفع وسلفنا الصالح رحمة الله عليهم - [00:06:06](#)

كانوا يتلذذون بقيام الليل اكثر من تلذذنا بالاكل والشرب وغيره من الملذات. كما قال قائلهم لو يعلم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف يعني ما هم فيه من اللذة - [00:06:36](#)

بمناجاة الله جل وعلا والتلذذ بكلامه والتفرغ من الاشغال والاقبال على الله جل وعلا وهو جعله جل وعلا سكن للابدان وسكن للارواح

وتلذذا بمناجاة الله جل وعلا لتسكنوا فيه وهذه نعمة عظيمة - [00:07:02](#)

لانه لو كان الوقت كله نهار ما اشتراح كثير من الناس اتعب نفسه في العمل كما يستريح والنهار مبصرا ولو كان الوقت كله ليل فانت كثير من المصالح وتعطلت ولكن الله جل وعلا جعل الوقت جزئين ليلا ونهارا - [00:07:32](#)

ولكل وظيفة ولكل هذا يؤدي فيها المرء في هذا الوقت والنهار مبصرا. النهار نور وبشر وظياء بخلاف ظلمة الليل فالمرء ينطلق فيه باعماله ويعمل صناعته ويعمل في حراسته وزراعته وتجارته واسفاره وبيعه وشرائه - [00:08:05](#)

هكذا ينطلق وهذه نعمة من الله جل وعلا. وجعل جل وعلا هذا التوازن بينهما. احيانا يطول طول الليل ويقصر النهار لحكمة وحيانا يطول النهار ويقصر الليل لحكمة واختلاف الاجواء والاوقات - [00:08:42](#)

اختلاف الجو من برودة وحرارة وشمس وصحو وغيم وظلام وغير ذلك من من مصالح العباد التي يستفيدون منها والكل يستفيد ولكن ما يتذكر نعمة الله جل وعلا ويتفكر فيها الا - [00:09:08](#)

قليل من الناس وقليل من عبادي الشكور الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ان الله لذو فضل لصاحب فضل وهو جل وعلا - [00:09:35](#)

صاحب الفضل على الناس وفضل الله جل وعلا على عباده من حين تكوينهم الى انتهائهم وهو جل وعلا ذو فضل عظيم ونكر الفضل تعظيما له لانه فضل عظيم لا يوازي فضل غيره جل وعلا - [00:10:00](#)

للاباء وللأمهات فضل وللأخوة فضل العلماء فضل لكن فضل الله جل وعلا لا يوازيه شيء ولا يعادله شيء فهو فضل عظيم ان الله لذو فضل ذو بمعنى صاحب ذو فضل على الناس كلهم - [00:10:25](#)

مسلمهم وكافرهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون. ولم يقل جل وعلا الا ولكن اكثرهم وانما قال ولكن اكثر الناس لان المطلوب من الناس الشكر - [00:10:55](#)

ولكن الكثير منهم يجحد ذلك وهم الكثير منهم بين امرين اما كافر جاحد واما جاهل معرض وان لم يكن جاحد او كافر ولكنه جاهل ما تفكر وما تأمل والله جل وعلا يقول ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لمن - [00:11:18](#)

لاولي الاالباب لاصحاب العقول الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والارض ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون. الكثير من الناس - [00:11:51](#)

لا يشكر وهذه سنة الله في خلقه والقليل هو الشاكر. وكما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بان بعث الجنة من كل الف واحد الجنة من كل الف واحد وتسع مئة وتسعون الى النار والعياذ بالله - [00:12:15](#)

ولكن اكثر الناس لا يشكرون هذا تذكير لمن وفقه الله جل وعلا بان يشكر ولا يكن من الاكثر وانما ليكن من القلة وقد سمع عمر رضي الله عنه رجلا يدعو يقول اللهم اجعلني من القليل. اللهم اجعلني من القليل. قال ما هذا - [00:12:40](#)

استنكر رضي الله عنه عليه قال نعم اليس الله جل وعلا يقول وقليل من عبادي الشكور فانا ادعو الله ان يجعلني من الشاكرين من القلة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون - [00:13:05](#)

ويؤخذ من هذا ان المرء لا يغتر بالكثرة لا يقل كل الناس على هذا ولا يقل الكثيرون على هذا اولا يقول انا اسلك ما سلك الناس او انظر الى الاكثر او انظر الى الغلبة - [00:13:29](#)

او انظر الى معظم الناس وكون معهم لا يا اخي لا تنظر الى من هلك كيف هلك وانما العبرة فيمن نجا كيف نجا وقليل من عبادي الشكور وما اكثر الناس ولو حرصت - [00:13:47](#)

بمؤمنين والأتقياء الصالحاء هم القلة فلا تزهد في الصلاح لقلة سالكيه ولا تغتر بالظلم والعدوان لكثرة الهالكين فيه ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو - [00:14:09](#)

توفكون ذلكم الذي فعل هذه الافعال وتفضل وهو اهل للشكر واهل للعبادة الله ربكم الذي رباكم بالنعم وقال ربكم كما قال جل وعلا الحمد لله رب العالمين فضل على الناس بربوبيته جل وعلا - [00:14:43](#)

الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فهو الخالق وحده هو الموجد للاشياء من العدم الى الوجود وموجد الشيء من العدم الى الوجود
قادر على البعث جل وعلا من باب اولى - [00:15:17](#)

لانه اذا خلق الخلق على غير مثال سبق فالقدرة على الاعداء من باب اولى وقد يعجز كثير من الناس عن ايجاد الشيء من اول وهلة
وعلى سبيل المثال العمارة مثلا - [00:15:43](#)

يصعب على الانسان ايجاد العبارة على الشيء الذي يريده ويرضيه لكن اذا كان عمارة موجودة وهدت اقامتها على شكلها السابق
سهل على المهندس والله جل وعلا لا يعجزه شيء - [00:16:07](#)

ليس هناك شيء صعب شيء اصعب وشيء هين بل كلها كل شيء بامر الله جل وعلا اذا اراده لا يعجزه شيء الله ربكم خالق كل شيء وهو
اهل للعبادة وهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له - [00:16:30](#)

فهل يجوز ان تصرف العبادة لمخلوق مثل مثل العابد العابد يعبد من يستحق العبادة. من يقدر على العطاء من يقدر على المنع من
يعذب من يرحم ولا يعبد مخلوقا مثله. لا اله الا هو. لا اله - [00:16:54](#)

بحق الا هو جل وعلا قد يقول قائل الالهة كثيرة والمعبودات كثيرة. نقول نعم موجودة لكن ليست بحق فهو الاله الحق وحده وما
سواه فعبادته باطلة لا اله الا هو. فان تصرفون - [00:17:21](#)

كيف تنصرفون عن عبادة من هذه صفته كيف تصرفون كيف تنصرفون عنها وتعبدون غيره؟ وكما تقدم لا يوجد اجهل واصل واعمى
ممن ترك عبادة الله جل وعلا وعبد مخلوق حيا او ميتا - [00:17:50](#)

صالحا او طالعا لان كل مخلوق لا يستحق شيئا من العبادة هو مخلوق فهو عابد والعابد لا يصلح ان يكون معبود وانما المعبود بحق
هو الله فاني تصرفون؟ كيف تنصرفون عن عبادة من يستحق العبادة الى عبادة من ليس له شيء - [00:18:18](#)

لذلك كذلك الذين كانوا بايات الله يجحدون انا تصرفون الخطاب لكفار قريش ويدخل غيرهم معهم كل كافر كذلك اي كما افك هؤلاء
وانصرفوا عن طاعة الله جل وعلا وعبادته افك الذين كانوا - [00:18:45](#)

بايات الله جاحدين يعني لهم سلف وطريق الضلال سهل وميسور ويتبع الضالين فيضل مثلهم وانما الطريق الصعب فريق الخلاص
والنجاة كذلك يوفى كالذين كانوا بايات الله يجحدون كما انصرف هؤلاء عن طاعة الله فقد انصرف - [00:19:16](#)

فهم اسلاف اقوام الانبياء عليهم الصلاة والسلام الاقوام الضلال هم اسلاف كفار قريش ومن سلك مسلكهم ممن جاء بعدهم وان
تنوعت اشكالهم في العبادة وتوجهاتهم منهم من يعبد صنم ومنهم من يعبد ميت - [00:19:51](#)

ومنهم من يعبد جني ومنهم من يعبد هواه يحكم هواه ويعبد هواه ولا يلتفت الى ما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين كذلك يوفى كل الذين كانوا بايات الله يجحدون. يعني الجاحدي الجاحدون بايات الله - [00:20:23](#)

منصرفون عن طاعته وهم سلف لكل كافر وايات الله بيينة واضحة وقال يجحدون لان الجحود غالبا يكون للشيء الموجود والظاهر
وغير الخفي فهو يجحد مع انه لا يستحق ان يجحد - [00:20:49](#)

لان الايات الدالة على وحدانية الله جل وعلا وعلى استحقاقه للعبادة ظاهرة بيينة واضحة بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله تعالى
ممتنا على خلقه بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه - [00:21:14](#)

ويستريحون من حركات ترددهم في المعاش بالليل واجعل النهار مبصرا اي مضيئا ليتصرفوا فيه بالاسفار وقطع الاقطار والتمكن من
الصناعات ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون - [00:21:38](#)

لا يقومون بشكر نعم الله عليهم ثم قال الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اي الذي فعل هذه الاشياء؟ وهو الله الواحد الاحد خالق
الاشياء الذي لا اله غيره ولا رب سواه - [00:22:00](#)

فاني تؤفكون كيف تعبدون غيره من الاصنام؟ التي لا تخلق شيئا بل هي مخلوقة منحوتة وقوله كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله
يجحدون اي كما ظل هؤلاء بعبادة غير الله - [00:22:23](#)

كذلك افك الذين من قبلهم فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان. بل بمجرد الجهل والهوى وجحدوا حجج الله واياته وقوله الله الذي جعل

لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات - [00:22:46](#)

الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هذا امتنان اخر من الله جل وعلا على عباده وتفضل بعد ان امتن عليهم وتفضل عليهم في الزمان الذي هو الليل والنهار ذكر جل وعلا تفضله على عباده بالمكان - [00:23:18](#)

الذي هو الارض وقرار يذهبون ويعودون ويعملون ويتحركون ويزرعون ويسافرون ويتاجرون جعل الارض مستقرة ولم يجعلها جل وعلا ماء كلها غير صالحة للاستقرار عليها على الارض قرارا تستقرون عليها حال حياتكم - [00:23:46](#)

وما اول لكم بعد موتكم والسماء بناء السماء سقف اودع فيها من المصالح للعباد الشيء الكثير الشمس والقمر والنجوم وسائر الافلاك التي يستفيد منها العباد الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء. ثم امتن عليهم جل وعلا باحوالهم - [00:24:18](#)

وصفاتهم وذواتهم فقال وصوركم فاحسن صوركم احسن صورة صورة الانسان ابن ادم ابن ادم ميزه الله جل وعلا بهذه القامة لم يجعله يمشي على يديه ورجليه كشاعر البهائم لم يجعله جل وعلا يتناول الطعام فيه. بل يتناوله بيده - [00:24:51](#)

واعطاه اليدين يلقبهما ويعمل بهما واعطاه الرجلين يمشي بهما. واعطاه الحواس وجمع حواسه في اشرف مكان منه في الرأس والوجه وكما قال الله جل وعلا وفي انفسكم افلا تبصرون وقال جل وعلا لقد خلقنا الانسان في احسن - [00:25:24](#)

تقويم باحسن صورة فيما خلق الله جل وعلا من مخلوقاته الارضية هي صورة الانسان في هذه القامة وهذا الشكل وجعل ووهبه العقل الذي يتصرف فيه ويخترع ويستتر عورته ويهيئ طعامه - [00:25:52](#)

ويعمل ما يكون سببا في بقاءه وصوركم فاحسن صوركم بعد ذكر المكان ذكر الصورة حال الانسان هم الرزق ورزقكم من الطيبات اعطاكم من كل ما طاب ولد ولم يجعل طعام الادميين كطعام الحيوانات والبهائم - [00:26:17](#)

بل ميزه جل وعلا وجعل له شرفا ولذة ويستفيد منه الانسان ورزقكم من الطيبات مما طاب ولد وحسن وجعل فيه الفائدة العظمى للجسم وجعل جل وعلا اكثر ما يحتاجه الناس اليه هو ارض الاشياء والحمد لله - [00:26:50](#)

وما به قوام الابدان هو من ايسر الاشياء وارخصها واسهلها والحمد لله ورزقكم من الطيبات ذلكم مبتدأ اخبر الله جل وعلا عنه نفسه بقوله الله الخبر الثاني ربكم الخبر الثالث - [00:27:26](#)

تبارك الله رب العالمين تبارك الله رب العالمين ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين اخبر عن نفسه جل وعلا باربعة اخبار لمبتدأ واحد ذلك المبتدأ وما بعده اخبار عنه - [00:27:52](#)

ذلكم الله المستحق للالوهية وحده ربكم المستحق للربوبية وحده جل وعلا تبارك الله وتبارك كلمة تبارك لله جل وعلا وحده تبارك الله تطلق هذه الكلمة الا على الله جل وعلا - [00:28:21](#)

والبركة كما قرر العلماء رحمهم الله بركة الله بمعنى صفته كعلم الله وعزة الله وقدرة الله بركة الله وهذه صفة من صفات الله جل وعلا وفعلها الفعل من هذه تبارك - [00:28:52](#)

بركة خلق من خلق الله يخلقها الله جل وعلا فيقال للمخلوق مبارك مبارك اي جعل الله جل وعلا فيه البركة فتبارك الله لا يجوز ان تطلق الا على الله. يجهل بعض الناس فيقول فلان تبارك علينا بمجيئه - [00:29:16](#)

هذا جهل ولا يجوز لان تبارك لا تأتي الا لله جل وعلا هو الذي يعطي البركة كما قال الله جل وعلا تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير - [00:29:48](#)

تبارك الله رب العالمين. تبارك الله تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ويقال تبارك الله. واما المخلوق فيقال له مبارك مبارك يعني جعل الله فيه شيئا من البركة - [00:30:04](#)

فتبارك الله رب العالمين. قال ربكم ثم قال رب العالمين فهو رب العالمين كلهم وليس ايها الناس وحدكم وانما هو رب العالمين. وكل ما سوى الله عالم الملائكة عالم والانس عالم والجن عالم والحيوانات عالم وهكذا - [00:30:28](#)

فتبارك الله رب العالمين ثم وصف نفسه جل وعلا بالحياة فقال هو الحي وقوله هو الحي هذه يفهم منها معنى الاختصاص يعني هو وحده الحي الحياة المستقرة الحياة الثابتة. الحياة التي لا يطرأ عليها ما ينقصها - [00:30:57](#)

من نوم او نعاس او موت تعالى وتقدس وهو الحي الحياة الكاملة والحياة الكاملة موصوفة بالعلم موصوفة بالقدرة انه اذا كان حي وغير قادر او حي وغير عالم تعالى الله - [00:31:28](#)

فهو موصوف بصفات الكمال وتقديم الضمير هنا في قوله هو يعني هو الحي وحده لان حياة كل مخلوق فيه حياة لكنها نسبة النبات يقال له حي الحيوان البهائم يقال لها حية لكنها تحيا وتموت. والنبات يموت - [00:31:51](#)

وابن ادم يحيى ويموت ولكن الحياة التي لا يعترضها ما ينقصها او ينقصها هي حياة الله جل وعلا هو الحي لا اله الا هو لا اله بحق الا هو ادعوه مخلصين له الدين - [00:32:22](#)

في اول الايات امر بدعائه وختم بدعائه فادعوه مخلصين الاخلاص النقى والصفاء يقال غسل خالص. يعني سال من الغش مدعوه مخلصين يعني اجعلوا دعائكم له وحده لا تشركوا معه غيره في الدعاء فتضلوا - [00:32:50](#)

وادعوه مخلصين له الدين له الدين تقديم الجار والمجرور يفهم منه الحصر والاختصاص له له الدين وما المراد بالدين كما قال الله جل وعلا الدين هنا يطلق على العبادة له الدين له العبادة - [00:33:20](#)

ومالك يوم الدين يوم الجزاء والحساب له الدين الحمد لله رب العالمين حمد جل وعلا نفسه وعلم عباده هذا خبر يتضمن الامر خبر بان له الحمد جل وعلا يتضمن الامر بحمده - [00:33:42](#)

امر عباده بحمده تعالى ولذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن غيره من السلف ان المرأة اذا ذكر الله فعليه ان يحمده بعد ذلك فيقول الحمد لله رب العالمين - [00:34:09](#)

لان الله جل وعلا علمنا ذلك في كتابه في قوله هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين الله الذي جعل لكم الارض قرارا - [00:34:30](#)

اي جعلها مستقرا لكم بساطا ومهادا تعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون في مناكبها وارسله بالجبال لئلا تميد بكم ان الله جل وعلا وكما قال وجعل الجبال والجبال اوتادا يعني تثبيت - [00:34:52](#)

ثبت الارض بالجبال والسماء بناء اي سقفا للعالم محفوظا وصوركم فاحسن صوركم كيف خلقكم في احسن الاشكال؟ ومنحكم اكمل الصور في احسن تقويم ورزقكم من الطيبات اي من المأكول والمشارب في الدنيا. فذكر انه خلق الدار والارزاق - [00:35:17](#)

وهو الخالق الرازق كما قال في سورة البقرة يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم - [00:35:46](#)

ولا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون. يعني لا تعبدوا مع الله غيره كائن من كان. نعم وقال مجاهد وقال مجاء وقالها هنا بعد خلق هذه الاشياء ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين - [00:36:08](#)

كيف تعالى وتقدس وتنزه رب العالمين ثم قال هو الحي لا اله الا هو اي هو الحي ازلا وابدا. لم يزل ولا يزل وهو الاول والآخر والظاهر والباطن - [00:36:31](#)

لا اله الا هو لا نظير له ولا عدل له ادعوه مخلصين له الدين. موحدين له مقرين بانه لا اله الا هو الحمد لله رب العالمين قال ابن جرير كان جماعة من اهل العلم يأمرؤن من قال لا اله الا الله ان يتبعها بالحمد لله رب - [00:36:50](#)

رب العالمين ان يتبعها يعني اذا قال لا اله الا الله يقول الحمد لله رب العالمين تعلمنا من كتاب الله. نعم ثم روي عن محمد بن علي بن الحسن عن ابن عباس - [00:37:17](#)

قال من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - [00:37:33](#)